السنة الحادية والسبعون وثلاث مئة

فيها طلب الطائع من عضد الدولة إجراء الماء إلى دار الخلافة، فساقه من الخالص إليها في نهر، فهو باق إلى اليوم يدخل الدار فيسقي البساتين وينتفعون به، ثم أجراه عضد الدولة إلى داره بالزاهر.

وفيها اتَّفق فخرُ الدولة وقابوس بن وَشْمَكير على عداوة عضد الدولة باطناً، وتحالفا عليه، وراسل عضد الدولة الطائع أن يَعقِدَ لمؤيد الدولة على جُرْجان وطَبَرِستان، ويبعث إليه بالخلع والعهد ففعل، وجَهَّز عضد الدولة العساكر إلى مؤيَّد الدولة مع زيار ابن شهراكويه ومعه الأموال والسلاح.

وسار مؤيَّد الدولة إلى بلاد قابوس فحصره فيها، وقاتله، واستولى عليها، وأزال نعمتَه، ويقال: إنه حبسه، ولم ينفعه فخر الدولة، وكان له طَبَرِستان وما والاها.

وقال قابوس عند هزيمته: [من البسيط]

قلْ للذي بصُروفِ الدَّهر عَيَّرَنا ... هل عاند الدَّهرُ إلا مَن له خَطَرُ
أما ترى البحْرَ تعلو فوقَه جِيَفٌ ... وتَسْتَقِرُّ بأقصى قَعْرِه الدُّرَرُ
فإن تكن نَشِبَتْ أيدي الخُطوبِ بنا ... ومَسَّنا من تَوالي صَرْفِها ضَرَرُ
ففي السَّماء نُجومٌ غيرُ ذي عَدَدٍ ... وليس يُكْسَفُ إلا الشَّمسُ والقَمَرُ[1]

وفيها سَخِطَ عضد الدولة على القاضي أبي علي المُحَسِّن بن علي التَّنوخي، وألزمه منزلَه، وصرفه من أعماله، ولم يزل في السُّخْط حتى مات عضد الدولة.

وحاصلُه أن عضد الدولة لما كان بهَمَذان ذكر في مجلس القاضي أنه يريد أن يقبض على الصاحب بن عبَّاد، فأخبر المحسِّنُ ابنَ عباد بما عزم عليه عضد الدولة، وبلغ عضد الدولة فعزَّ عليه ونَكَبه.

وفيها أُطلق أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابئ الكاتب من الاعتقال، وصُرف إلى داره، وكان القَبْضُ عليه في سنة سبع وستين، ومدةُ اعتقاله ثلاث سنين وسبعة أشهر وأيام.

---

(١) الأبيات في معجم الأدباء ١٦/ ٢٢٤، والكامل ٩/ ٢٤٠، ووفيات الأعيان ٤/ ٨٠.

وكان سبب اعتقاله الكتبَ التي قدَّمنا ذكْرَها، وكثرةَ ماله، فأخذ منه عضد الدولة مئة ألف درهم وحبسه، فكان يَمدحه بالقصائد وهو مَحبوس، وخرج عضد الدولة إلى الكوفة لزيارة المَشْهَد، فلما عاد إلى بغداد كتب إليه: [من الكامل]

أهلاً بأشْرَفِ أوْبَةٍ وأَجَلِّها ... لأجَلِّ ذي قَدَمٍ يُلاذُ بنَعْلِها
يا خيرَ مَن زَهَتِ المنابرُ باسمِه ... في دولةٍ عَلِقَت يداه بحَبْلِها
أرْضَيتَ ربَّك والرسولَ وآلَه ... والناسَ في حَزْنِ البلادِ وسَهْلِها
كانت زيارتُك الغِنى في أهلها ... بيدٍ تَعُمُّهُمُ بفائضِ بَذْلِها
مَولايَ عبدُكَ حالِفٌ لك حَلْفَةً ... تَعْيى مَناكبُ يَذْبُلٍ عن حَمْلِها
لقد انتهى شَوقي إليكَ إلى التي ... لا أستطيعُ أُقِلُّها من ثِقْلِها
لو بِعتَني بجميع عُمري لَفْظَةً ... أو لَحظةً بالطَّرْفِ لم أَسْتَغْلِها
قَضَّيتُ سابِغَةَ السّنين مُقاسياً ... غَمَّاءَ مَحْبِسِها وحَلْقَةِ كَبْلِها
لم تُخْلِني ساعاتُها من رَوْعَةٍ ... وكذا أنا من دَمْعَةٍ لم أُخْلِها
بُدِّلْتُ فيها من غُرابي بازياً ... بل بومَةً شَمْطاءَ لم أَسْتَحْلِها
أَفَتَسْتَمِرُّ بي المناجِسُ هكذا ... في دَولةٍ أنا واحدٌ من أهلِها[1]

من أبيات طويلة، فلما قرأها عضد الدولة رقَّ له وقال: هذا المسكين قد طالت حَبْسَتُه، وأمر بإطلاقه، ومضى إلى داره، وشَغَله عن النَّظَر في حاله مَرضُه، وافتقده غير مرة.

وفيها قَلَّد الطائع كتابَته أبا القاسم عيسى بن علي بن عيسى، وخَلَع عليه، وصَرف عيسى بن مروان النصراني عنها[2]، وحجَّ بالناس أبو عبد الله العَلوي.

وفيها توفي

أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل

أبو بكر، الجُرْجاني، الحافظ.

---

(١) معجم الأدباء ٢/ ٤٢ ـ ٤٤.

(٢) من قوله: وفيها اتفق فخر الدولة وقابوس... إلى هنا ليس في (ف م م١).

طاف الدُّنيا، ولَقي الشيوخ وسمع منهم، وصنَّف الكُتُبَ الحِسان، منها: «الصحيح» صنَّفه على صحيح البخاري، و«الفَرائد»، و«العوالي»، وغير ذلك، وتوفي في رجب.

وكان الدارقطني[1] يَتأسَّفُ على لقائه ويقول: عَزمتُ غير مرة على الرحلة إليه فلم أُرْزَق، وأجمعوا على حِفظه وصِدقه وفَضله وثِقته.

الحسن بن أحمد بن صالح

أبو محمد، السَّبِيعيّ، الحافظ، الكوفي.

طاف الدنيا، وكان مُكثراً إلا أنه كان عَسِرَ الرواية، وكان الدارقطني يجلس بين يديه كجُلوسِ الصبيّ بين يدي المعلِّم هَيبةً له، ومات في ذي الحجّة ببغداد، وأجمعوا عليه.

وقال: قدم علينا حَلباً الوزير جعفر بن الفَضْل، فتلقَّاه الناس، فكنتُ فيمَن تلقَّاه، فعرف أني من أصحاب الحديث فقال: أتعرِفُ حديثاً في إسناده أربعة من الصحابة كلُّ واحدٍ عن صاحبه؟ قلتُ: نعم؛ حديث السَّائبِ بن يَزيد، عن حُوَيْطِب بن عبد العُزَّى، عن عبد الله بن السَّعْدي، عن عمر بن الخطاب في العُمالة[2]، فعرف صِحَّةَ قولي فأكْرَمَني.

قال عبد الغني بن سعيد: وثَمَّ حديثان، أحدهما يرويه أربعةٌ من الرجال، والثاني يرويه أربعة من النساء، فأما الذي يرويه أربعة من الرجال فحديث نُعَيم بن هَمَّار، عن

---

(١) في (خ ب): وكان الرقابي، والمثبت من تاريخ جرجان ١١٠، والمنتظم ٤/ ٢٨٢، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٥٤، والسير ١٦/ ٢٩٤.

(٢) أخرجه أحمد (١٠٠)، والبخاري (٧١٦٣)، ومسلم (١٠٤٥)، ولفظه: أن عبد الله بن السعدي قدم على عمر رضي الله عنه في خلافته، فقال له عمر: ألم أُحَدَّث أنك تلي من أعمال الناس أعمالاً، فإذا أُعطيتَ العُمالة كرهتَها؟ فقلت: بلى، فقال عمر: فما تريد إلى ذلك؟ قلت: إن لي أفراساً وأعبُداً وأنا بخير، وأريد أن تكون عمالتي صدقة على المسلمين، فقال عمر: فلا تفعل، فإني قد كنتُ أردتُ الذي أردتَ، فكان النبي ﷺ يعطيني العطاء فأقول: أعطه أفقرَ إليه مني، حتى أعطاني مرة مالاً فقلت: أعطه أفقر إليه مني، قال: فقال له النبي ﷺ: «خذه فتَمَوَّلْه وتصدق به، فما جاءك من هذا المال وأنت غير مُشرف ولا سائل فخُذْه، وما لا فلا تُتْبِعْه نفسَك».

وانظر ترجمة السبيعي في: تاريخ بغداد ٨/ ٢١٣، والمنتظم ١٤/ ٢٨٢، والسير ١٦/ ٢٩٦، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٥٦.

المِقدام بن مَعْدي كَرِب، عن أبي أيُّوب الأنصاري، عن عَوف بن مالك في الأمر بالطاعة، والوَصيَّة بكتاب الله[١].

وأما الحديث الثاني فرواه الزُّهري، عن عُروةَ بن الزُّبير، عن زينب بنت أبي سلمة، عن حَبيبة بنت أم حَبيبة بنت أمِّ سَلمة، عن أمها أم حَبيبة، عن زينبَ بنت جَحْش في فتح رَدْمِ ـ سدِّ ـ يأجوج ومأجوج[٢].

عبد العزيز بن الحارث بن أَسَد

أبو الحسن، التَّميميّ، الحَنْبلي.

كان فاضلاً، وله تصانيف في أصول الكلام، وفي المذهب، والفرائض، وكانت وفاتُه ببغداد في ذي القَعدة[٣].

[فصل وفيها توفي

علي بن إبراهيم

أبو الحسن، الحُصَريّ، البَصري، الصُّوفي، الواعظ[٤].

سكن بغداد، وصحب الشِّبلي وغيره، وكان صاحبَ خَلَوات ومُجاهدات، وما كان يخرج إلا من الجمعة إلى الجمعة.

[قال الخطيب:] وكان قد أسنَّ وصَعُب عليه المجيءُ إلى الجامع، فبني له الرباط المقابل لجامع المنصور، ثم عُرف بصاحبه الزوزني الذي بناه، وكان شيخَ الشيوخ ببغداد.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦٠)، وفي معجم الشاميين (١١٧٠) ولفظه: خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة وهو مرعوب فقال: «أطيعوني ما كنت بين أظهركم، وعليكم بكتاب الله، أحلّوا حلاله، وحرموا حرامه».

(٢) أخرجه أحمد (٢٧٤١٣)، ومسلم (٢٨٨٠) (١) ولفظه: استيقظ النبي ﷺ من نوم وهو محمرّ وجهه وهو يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شرّ قد اقترب، فُتح اليوم من رَدْم يأجوج ومأجوج مثل هذه» وحَلّق، قلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟! قال ﷺ: «نعم، إذا كثر الخبث».

(٣) تاريخ بغداد ١٢/ ٢٣٣، والمنتظم ١٤/ ٢٨٤، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٦١، والتراجم الثلاث ليست في (ف م م١).

(٤) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٤٩، طبقات الصوفية ٤٨٩، الرسالة القشيرية ١٢٥، المنتظم ١٤/ ٢٨٥، مناقب الأبرار ٢/ ٢٠٧، تاريخ الإسلام ٨/ ٣٦٢.

وقال في «المناقب»: كان الحُصَري[١] شيخَ أهل العراق ولسانَها في وقته، ولم يُرَ في زمانه أتمُّ حالاً منه، ولا أحسنُ لساناً، ولا أعلى كلاماً، مُتوحِّداً في طريقته، ظريفاً في شمائله، له لسانٌ في التوحيد يَختصُّ به، ومقامٌ في التَّجريد لم يُشاركْه فيه غيره، وهو أستاذ العراقيين، وبه تأدَّب مَن تأدَّبَ منهم، وكذا قال السُّلَميّ وغيره.

نبذة من كلامه:

قال: كان آدم مَحَلًّا للعلل، فخوطب على قدر حاله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ [طه: ١١٨]، وإلا فذاك المقام لا يؤثِّر فيه جوعٌ ولا عَطَشٌ ولا عُرْي.

وقال: وَجَدتُ مَن يدعو إلى الله [إنما يدعو] بظاهره، ويدعو إلى نفسه بباطنه؛ لأنه يحبُّ أن يُعَظَّم، ويُشارُ إليه، ويُعرَفُ مَوضعُه، ويُثْنى عليه الثناءَ الحسَن، ومَن أحب ذلك فقد دعا إلى نفسه لا إلى ربِّه، وما عليَّ مني، وأيُّ شيءٍ لي فيَّ [حتى أخاف عليه، وأرجو له] إن رَحِم رحم ما له، وإن عذَّب عَذَّب ما له[٢].

قال المصنّف رحمه الله: وهذا كلامٌ حسن، أشار فيه إلى التوحيدِ المَحْض، وسقوطِ الإرادة بالكلِّية، وطريقةِ الفَناء التي عليها قواعُد الحقائق مَبنيَّة، ولعله استنبط هذا من الكتاب الكريم: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

وسئل: هل يَحتشم المحبُّ أو يَفزَع؟ فأنشد: [من البسيط]

قالت لقد سُؤتَنا في غيرِ مَنفَعَةٍ ... بطَرْقِكَ البابَ والحُجَّابُ ما هَجَعوا
ماذا يَريبُك في الظَّلْماءِ تَطْرُقُنا ... قلتُ الصَّبابَةُ هاجَتْ ذاك والطَّمَعُ
قالت لَعَمْري لقد خاطَرْتَ ذا جَزَعٍ ... حتى وَصَلْتَ فهَلّا عاقَكَ الجَزَعُ
فقلتُ هل هو إلا الموتُ أو ظَفَرٌ ... بما يَزولُ به عن مُهْجَتي الهَلَعُ

وكان ينشد دائماً: [من الخفيف]

إنَّ دَهْراً يلُفُّ شَمْلي بجَمْعٍ[٣] ... لَزمانٌ يَهُمُّ بالإحسانِ[٤]

---

(١) في (ف م م١): وذكره في المناقب فقال. والمثبت من (خ ب).

(٢) المنتظم ١٤/ ٢٨٦ وما بين معكوفين منه.

(٣) في طبقات الصوفية ٤٩٣، ومناقب الأبرار ٢/ ٢٠٩: بسلمى.

(٤) من قوله: نبذة من كلامه... إلى هنا؛ ليس في (ف م م١).

وقال: الناس يقولون: الحُصَري لا يقول بالنَّوافل! وعليَّ أوراد من حال الشباب؛ لو تركتُ منها ركعةً لَعُوْتِبْتُ.

وقال: عَرِّضوا ولا تُصَرِّحوا فالتَّعْرِيضُ أيْسَر[١]، ويُنشد: [من الطويل]

وأعْرِضْ إذا ما جئتَ عنا بحِيلةٍ ... وعَرِّض ببعضٍ إنَّ ذلك أسْتَرُ
فما زِلتَ في إعمالِ[٢] طَرْفِكَ نَحوَنا ... ولَحْظِك حتى كاد ما بكَ يَظْهَرُ

ذكر وفاته:

[ذكر ابن خميس في «المناقب» أنه] مات ببغداد يوم الجمعة في ذي الحجَّة [من هذه السنة.

وقال الخطيب:] ودُفن بمقبرة باب حَرْب وقد أناف على الثمانين.

محمد بن أحمد بن طالب

أبو الحسن، الأخباري.

رحل وسمع الكثير، وكان فاضلاً، وقال: أنشدنا ابن الأعرابي: [من الخفيف]

كنتُ دهراً أُعَلِّلُ النَّفْسَ بالوَعْـ ... ـدِ وأخلو مُسْتأنِساً بالأماني
فمضَى الواعِدون ثُمّ اقْتُطِعْنا ... عن حديثِ المُنى[٣] بصَرْفِ الزَّمانِ

[فصل وفيها توفي]

محمد بن أحمد بن عبد الله

أبو زيد، المَرْوَزيّ، الفقيه الشافعي[٤].

ولد سنة إحدى وثلاث مئة، ولقي محمد بن يوسف الفِرَبْريّ سنة ثمان عشرة وثلاث مئة، فحدَّثه بصحيح البخاري عن البخاري. وكان زاهداً عابداً.

---

(١) كذا في (ب خ)، وهذا القول ليس في (ف م م١)، وفي مناقب الأبرار ٢/ ٢٠٩: أستر، وهو الأشبه.

(٢) في (خ ب): إعراض، والمثبت من مناقب الأبرار ٢/ ٢٠٩.

(٣) في (خ ب): فمضى الواعدون لي عن حديث المنى، والمثبت من معجم الأدباء ١٧/ ١٦٧، وانظر تاريخ بغداد ٢/ ١٤٧، وتاريخ دمشق ٦٠/ ١٦٤، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٢٧. وهذه الترجمة ليست في (ف م م١).

(٤) تاريخ بغداد ٢/ ١٥٤، وتاريخ دمشق ٦٠/ ١٧٣، والمنتظم ١٤/ ٢٨٧، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٦٣، والسير ١٦/ ٣١٣.

[قال الخطيب: كان] أحد الأئمة، حافظاً لمذهب الشافعي رحمه الله، حسن النَّظَر، مشهوراً بالوَرَع [قدم نيسابور غير مرة، ثم] حجَّ سنة خمس وخمسين وثلاث مئة، فأقام بمكة سبعَ سنين، ثم قدم بغداد وحدَّث بها، ثم مضى إلى مَرْو فتوفي بها.

قال أبو بكر البَزَّاز[١]: عادَلْتُ أبا زيد من نيسابور إلى مكة، فما أظنُّ الملائكةَ كتبتْ عليه خطيئةً قط.

وقال أبو زيد: لما أردتُ[٢] الرجوعَ إلى مَرْو وأنا بمكة رأيتُ رسول الله ﷺ في المنام فقلتُ: يا رسول الله، إني أريدُ الرُّجوعَ إلى مَرْو، والمسافة بعيدة، وأنا ضعيف، فالتفت إلى شابٍّ كان إلى جانبه وقال: يا رُوحَ القُدس، كن معه إلى وطنه، فانتبهتُ وأنا أرى أنه جبريل عليه السلام، فخرجتُ من مكةَ إلى مَرْو، فلم أُحسَّ بشيءٍ من التَّعَب.

توفي أبو زيد في رجب، وكان رُكناً[٣] من أركان الإسلام، وبدلاً من الأبدال.

وفيها توفي

محمد بن خَفيف بن إسْفِكْشاذ

أبو عبد الله، الشِّيرازي، الصُّوفي، شيخ بلاد فارس[٤].

قال أبو عبد الرحمن السُّلَمي: كانت أُمّه نيسابورية، وهو اليوم شيخ المشايخ، وتاريخ الزمان، ولم يبق للقوم أقدمُ سنًّا منه، ولا أتمُّ حالاً ووقتاً، صحب رُويماً، والجَريري، وأبا العباس بن عطاء، ولقي الحسين بن منصور، وهو أعلم المشايخ بعلوم الظاهر، ومُتمسِّكاً بعلوم الشريعة من الكتاب والسنة، فقيه على مذهب الإمام الشافعي رحمة الله عليه.

---

(١) في (ف م م١): وحدثني أبو بكر البزار قال.

(٢) في (ف م م١): وحكى عنه أنه قال: لما أردت، والمثبت من (خ ب).

(٣) في (ف م م١): توفي أبو زيد في رجب، حدث عن الفربري بصحيح البخاري، وهو أول من رواه عنه، وخلق كثير، وروى عنه أبو عبد الله الحاكم والسلمي والدارقطني وغيرهم، وقال أبو نعيم: كان ركناً. ولم نقف على كلام أبي نعيم في الحلية.

(٤) بعدها في(ف م م١): وأثنى عليه الأئمة. وانظر ترجمته في: حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٥، وطبقات الصوفية ٤٦٢، والرسالة القشيرية ١٢٠، وتاريخ دمشق ٦٢/ ١٤، والمنتظم ١٤/ ٢٨٨، ومناقب الأبرار ٢/ ١٧٦، والسير ٦/ ٣٤٢، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٦٥.

وكان من أولاد الملوك، أوحدَ عصره، صاحب المقامات والأحوال، والمجاهدات والرياضات.

وقال أبو نعيم[١]: أبو عبد الله بن خَفيف اللّطيف الظَّريف، له «الفصول في الأصول»، و«التحقيق في الوصول»، لقي الأكابرَ والأعلام، وكان أحد أركان الإسلام [صحب أبا العباس بن عطاء، وطاهراً المقدسي، وأبا عمرو الدمشقي وغيرهم، وكان من أولاد الملوك بفارس.

وذكره القُشيري فقال: هو شيخ الشيوخ، وأوحدُ وقته.

وذكره في «المناقب» وحكى عنه العجائب. وكذا الحافظ ابن عساكر، وهو الذي قال في نسبه: إسفكشاذ.

فصل في ذكر] طرف من أخباره ومجاهداته[٢]:

قال: كنت[٣] في بدايتي آخُذُ الخِرَق من المزابل وأُصلح منها ما أَلْبَسُه، وأقمتُ مدةً أُفطر في كلِّ ليلةٍ على كفٍّ من الباقِلَّى.

وكنتُ أقرأ في ركعة قل هو الله أحد عشرة آلاف مرة، وفي الثانية القرآن كلّه، وكنت أصلّي من الغداة إلى العصر ألف ركعة، وأُحيي الليلَ كله.

وقال بعض أصحابه: أمرني أن أُقدِّمَ[٤] إليه كلَّ ليلةٍ عشر زَبيباتٍ لإفطاره، فأشفقتُ عليه، فقدَّمتُ له خمس عشرة، فنظر إليَّ وقال: مَن أمرك بهذا؟ وأكل عشر حَبّاتٍ[٥] وترك الباقي.

وقال ابن خفيف: ما وَجَبت عليَّ زكاةُ الفطر منذ أربعين سنة، ولي قَبول عظيمٌ عند الخاصّ والعام.

---

(١) في (ف م م١): وذكره أبو نعيم في الحلية فقال.

(٢) ما بين معكوفين من (ف م م١).

(٣) في (ف م م١): حكى عنه في المناقب أنه قال كنت، والكلام الآتي لم نقف عليه في ترجمته في المناقب ٢/ ١٧٦، وإنما ذكره ابن عساكر في تاريخه ٦٢/ ١٨.

(٤) في (ف م م١): قال القشيري: قال بعض أصحاب ابن خفيف: أمرني ابن خفيف أن أقدم.

(٥) في (ف م م١): زبيبات.

[وحكى عنه الحافظ ابن عساكر، وفي «المناقب»] قال: استقبلني في حال حداثتي فقير، فرأى فيَّ أثرَ الجوع والضرّ، فأدخلني بيته، وقدَّم إليَّ طَبيخاً فيه كُشك ولحم مُتغيِّر، فأكلتُ الثريدَ وتجنَّبتُ اللحم، فأخذ قطعةً من اللحم فلقَّمني إياها، فشقَّ علي وخَجِلتُ.

ثم خرجتُ إلى مكة ومعي جماعة، فأقمنا أياماً لم نأكل شيئاً، فجئنا إلى حيٍّ من أحياء العرب، فاشتَرَوْا منهم كلباً بدينار، فذبحوه وشَوَوه، وأكلوا للضرورة، وناولوني قطعةً من لحمه، فلما أردتُ أكلَها ذكرتُ خَجَل الفقير مني، وأنها كانت عقوبة، فلما رجَعْنا أتيتُ الفقيرَ واعتذرْتُ إليه.

وقال: دخلتُ[1] البادية على نيَّةِ الحج، وكنتُ قد قَدِمتُ بغداد ولم أدخل على الجُنيد، وفي رأسي نَخوةُ الصوفية، وقد أقمتُ أربعين يوماً لم آكُلِ الخبزَ، ولم أشرب الماء، فعَطِشتُ، فلما وصلنا إلى زُبالَة[2] ـ وكنت على طهارةٍ من بغداد ـ وإذا بظَبْيٍ على رأس البئر، وقد ارتفع الماء إلى رأسها وهو يشرب، فدنوتُ من البئر لأشرب فولَّى الظبي، ونزل الماء إلى أسفل البئر، فقلت: يا سيدي مالي محلُّ هذا الظبي؟! فسمعتُ هاتفاً من ورائي يقول: هذا الظَّبيُ جاءنا بغير حَبلٍ ولا رَكْوَة، وأنت جئتنا بحبلٍ ورَكوة، ولكن التفت، فالتفتُّ وإذا بالماء في رأس البئر، فشرِبتُ، فلما قضيتُ الحج وعُدُت إلى بغداد دخلتُ على الجنيد، فلما رآني قال: أما إنك لو صَبَرْتَ ساعةً لنبع الماء من تحت قدميك.

[وحكى عنه في «المناقب» أيضاً] قال: خرجتُ من مصر أُريد الرَّمْلَة للقاء أبي علي الرُّوذباري، فلَقيني عيسى بن يوسف المصري الزاهد، فقال لي: يابن خَفيف، بصُور شابٌّ وكَهْل قد وقفا في مقام المراقبة، فلو نظرتَ إليهما لعلك أن تستفيد منهما، فدخلتُ صور وأنا جائع عطشان وفي وَسَطي خِرْقَة، وليس على كتفي شيء، فأتيتُ المسجد، فإذا بشابٌّ وكَهْل قد استقبلا القبلة، وهما جالسان لا يتكلَّمان، فسلَّمتُ عليهما فلم يَرُدَّا، فقلت: ناشَدْتُكُما الله إلا رَدَدْتُما عليَّ السَّلام، فرفع الشابُّ رأسَه من مُرَقَّعَته وقال: يا ابن خفيف، ما أقلَّ شُغْلَك بنفسك حتى تَلقانا!

---

(١) في (ف م م١): وحكى عنه أيضاً أنه قال: دخلت.

(٢) منزل معروف بطريق مكة من الكوفة.

قال: فذهب عَطَشي وجوعي وتعبي، فأقمتُ عندهما ثلاثة أيام لم آكل ولم أشرب، ولا رأيتُهما أكلا ولا شربا ولا ناما، فقلت لهما في اليوم الثالث: عِظاني، فقالا: نحن أربابُ مصائب، ما لنا لسانٌ في المواعظ، فقلت: بالله، فقال الشاب: عليك بصُحبة مَن يذكِّرك اللهَ برؤيته، وتقع على قلبك هَيبتُه، ويَعِظُك بلسان فعله لا بلسان قوله، اذهب عنا، فانصرفتُ[1].

[ذكر نبذة من كلامه:

حكى عنه في «المناقب» أنه] قال: لما خلق الله الملائكة والإنس والجن خلق العصمةَ والكفايةَ والحيلةَ وقال: اختاروا، فاختارت الملائكة العصمة، ثم قال للجن: اختاروا، فاختاروا العصمة، فقال: قد سُبِقتم إليها، فاختاروا الكفاية، ثم قيل للإنس: اختاروا، فاختاروا العِصْمةَ، فقيل: قد سُبِقتم إليها، فاختاروا الكفاية، فقيل: قد سُبقتم إليها، فاختاروا الحيلة، فبنو آدم يحتالون بجهدهم.

وسئل عن التوكّل فقال: الاكتفاءُ بضمانه، وإسقاطُ التُّهمَةِ عن قضائه.

وقال: ليس شيءٌ أضرَّ بالمريدين من مُسامحةِ النفس في ركوب الرُّخَص والتأويلات[2].

وسئل عن القُرْبِ فقال: طيُّ المسافات بلطيف المنازلات[3].

وسئل عنه أيضاً فقال[4]: قُرْبُك منه بملازمة الموافقات، وقُرْبُه منك بدوام التوفيق.

ذكر وفاته:

[حكى الحافظ ابن عساكر عن عبد الرَّحيم قال: قال ابن خفيف:] سألتُ الله أن ألقاه ولا يكون على بَدَني شيءٌ من اللحم، ولا لأحدٍ عندي شيء، فمات كذلك، أقام سبعةَ عشر يوماً لم يأكل، وكانوا يَشَمُّون منه رائحةَ الطِّيبِ والمِسْك شيئاً ما شَموا مثلَه قط.

---

(١) بعدها في (م): وقد كاد قلبي يطير رعباً.

(٢) في المناقب ٢/ ١٧٧: وقبول التأويلات.

(٣) في طبقات الصوفية ٤٦٦، والمناقب: بلطيف المداناة.

(٤) في (ف م م١): وفي رواية القشيري عنه أنه قال. والمثبت من (ب خ)، والقول في الرسالة ١٢٠ ـ ١٢١، وطبقات الصوفية ٤٦٦، ومناقب الأبرار ٢/ ١٧٧.

وتوفي ليلة الثلاثاء[١] ثالث عشرين رمضان وله مئة وأربع سنين.

[وقال ابن عساكر:] لما مات حضر أبو أحمد الكبير، وأبو أحمد الصغير، وأبو الطَّيب القزويني، وخلقٌ كثير، وحملوه على سريره، وضَبَّبوه بضَبَّات حديد، ودخل تحته كلُّ قويٍّ وكل شاطر، ومَن يَدَّعي القوَّةَ والفتوة، وكلما تَعِب قومٌ دخل آخرون، وحوله الفرسان من الدَّيالمة، والخَدَم، والحاشية بالسيوف والدَّبابيس.

وصلى عليه أبو بكر العَلَّاف وغيره نحواً من مئة مرة، واجتمع في جنازته اليهود والنصارى والمجوس[٢].

[وقال ابن عساكر: حدَّث ابن خفيف بدمشق عن القاضي الحسين المحاملي، وحمَّاد بن المبارك[٣]، ومحمد بن جعفر التَّمَّار، وذكر غيرهم.

وروى عنه أبو الحسن علي بن جَهْضَم، وذكر غيره.

قلت: وقد ذكره جدي في «المنتظم» فقال: محمد بن خفيف، أبو عبد الله الشيرازي، صحب الجَريري، وابن عطاء، وغيرهما.]

وقد تكلَّم فيه الشيخ أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله تعالى[٤].

---

(١) في (ف م م١): وقال أبو عبد الرَّحمن السلمي: توفي ليلة الثلاثاء.

(٢) تاريخ دمشق ٦٢/ ٢٩ ـ ٣٠.

(٣) كذا في (ف م م١) وهذه الزيادة ما بين معكوفين منها، وكذا في (ب س) من تاريخ دمشق ٦٢/ ١٤ كما أشارت إليه محققته، والصواب حماد بن مدرك، وانظر تاريخ الإسلام ٨/ ٣٦٥، والسير ١٦/ ٣٤٢.

(٤) فقال في المنتظم ١٤/ ٢٨٨: وقد ذكرت في كتابي المسمى بتلبيس إبليس عنه من الحكايات ما يدل على أنه كان يذهب مذهب الإباحة. اهـ.

وقال الذهبي في السير ١٦/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧: قد كان هذا الشيخ جمع بين العلم والعمل، وعلوِّ السند، والتمسك بالسنن، ومُتِّع بطول العمر في الطاعة.

قلت: وجاء في (ف) بعد نهاية الترجمة ما نصه: انتهت ترجمة ابن خفيف والحمد لله وحده، وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.